منزل يعني من الله وعلى القول بكون معنى الآية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعني ولا يحفظون
عهداً يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم يعني يطيعونكم بألسنتهم بخلاف ما في قلوبهم وأكثرهم فاسقون فإن قلت
إن الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر أخبث وأقبح من الفسق فما معنى الذم بما الفائدة في قوله وأكثرهم فاسقون
مع أن الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون فاسقاً خبيثاً لفسق في دينه فالمراد بوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم
فيكون أبلغ في الذم وإنما قال أكثرهم فاسقون ولم يقل كلهم فاسقين لأن منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه وأكثرهم
نقضوا العهد فلهذا قال تعالى وأكثرهم فاسقون وقوله تعالى اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً يعني استبدلوا
بآيات القرآن والإيمان بها عرضاً قليلاً من متاع الدنيا وذلك أنهم لما نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي صلى
الله عليه وسلم بسبب أكلة أطعمهم أبو سفيان نحلفاه وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدوا عن
سبيله يعني ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس وذلك أن أهل الطائف مدوهم بالأموال
ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم ساء ما كانوا يعملون يعني من الشراء ونقضهم العهد ومنعهم الناس
عن الدخول في الإسلام لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة يعني أن هؤلاء المشركين لا يراعون في مؤمن عهداً ولا ذمة إذا
قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا أنتم عليهم كما لم يبقوا عليكم إذا ظهروا عليكم وأولئك هم المعتدون يعني في نقض العهد
قوله عز وجل فإن تابوا يعني فإن رجعوا عن الشرك إلى الإيمان وعن نقض العهد إلى الوفاء به وأقاموا الصلاة يعني المفروضة
عليهم بجميع حدودها وأركانها وآتوا الزكاة يعني وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها أنفسهم فإخوانكم
في الدين يعني إذا فعلوا فهم إخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون يعني ونبين حجج أدلتنا ونوضح
بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود أمرتم
بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعاً لم يفرق بينهما
وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة وقال يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه يعني بذلك ما ذكره أبو بكر في حق منع
الزكاة وهو قوله والله لا أفرق بين شيئين جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكاة ق عن أبي هريرة قال لما
توفي النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه
إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق
المال والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها وفي رواية عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق
عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم
الذي له ذمة الله وذمة رسوله وقوله عز وجل وإن نكثوا أيمانهم يعني نقضوا عهودهم من بعد عهدهم يعني من
بعد ما عاهدوكم عليه أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحداً من أعدائكم وطعنوا في دينكم يعني وعابوا
دينكم الذي أنتم عليه وقدحوا فيه وثلبوه وفي هذا دليل على أن الذمي إذا طعن في دين الإسلام وعابه ظاهراً
لا يبقى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله تعالى فقاتلوا أئمة الكفر يعني رؤوس
المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت في أبي سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وأبي جهل
وابنه عكرمة وسائر قريش وهم الذين نقضوا العهد وهموا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أراد
جميع الكفار وإنما ذكر الأئمة لأنهم الرؤساء والقادة ففي قتالهم قتال الأتباع وقال مجاهد هم فارس والروم
وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل أهل هذه الآية بعد ولم يأت أهلها ولعل حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون

مع

مع الدجال من اليهود فإنهم أئمة الكفر في ذلك الزمان والله أعلم بمراد حذيفة وقوله تعالى إنهم لا أيمان لهم يعني
جمع يمين أي لا عهد لهم وقيل معناه أنهم لا وفاء لهم بالعهد وقرئ لا إيمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق
وقيل هو من الأمان أي اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم لعلهم ينتهون أي لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم
ويرجعون عن الكفر إلى الإيمان ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى ألا تقاتلون قوماً
نكثوا أيمانهم يعني نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بني بكر على خزاعة وهموا بإخراج
الرسول يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة وهم بدؤوكم يعني بالقتال أول مرة يعني يوم بدر وذلك أنهم قالوا
لا ننصرف حتى نستأصل محمداً وأصحابه وقيل أراد أنهم بدؤوا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أتخشونهم
يعني أتخافونهم أيها المؤمنون فتتركون قتالهم فالله أحق أن تخشوه يعني في ترك القتال إن كنتم مؤمنين يعني إن كنتم
مصدقين بوعد الله ووعيده قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم يريد بالقتل يعني يقتلهم الله
بأيديكم ويبين قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم عذاب الاستئصال يعني وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب
جميعاً وأنت فيهم والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين نقضوا وبدؤوا بالقتال فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
بقتال من قاتلهم ونقض عهدهم والفرق بين العذابين أن عذاب الاستئصال يتعدى إلى المذنب والمخالف وقوله
ويخزهم يعني ويذلهم بالقهر والأسر وينزل بهم الذل والهوان وينصركم عليهم يعني بأن يظفركم بهم ويشف
صدور قوم مؤمنين يعني ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الأذى منهم ومن المعلوم أن من طال تأذيه من خصمه
ثم مكنه الله منه فإنه يفرح بذلك ويعظم سروره ويكون ذلك سبباً لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدي
أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعانت قريش بني بكر على خزاعة حتى نكلوا فيهم
فشفى الله صدور خزاعة من بني بكر حين أخذوا ثأرهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويذهب غيظ قلوبهم
يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بني بكر روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف إلا
خزاعة من بني بكر إلى العصر ذكره البغوي بغير سند ثم قال تعالى ويتوب الله على من يشاء وهذا كلام مستأنف ليس له
تعلق بالأول والمعنى ويهدي الله من يشاء إلى الإسلام فيمن عليه بالتوبة عن الشرك والكفر وهداه إلى الإسلام
كما فعل بأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا من أئمة الكفر ورؤساء المشركين
ثم من الله عليهم بالإسلام يوم فتح مكة فأسلموا والله عليم يعني بسرائر عباده ومن سبقت له العناية الأزلية بالشقاء
فيتوب عليه ويهديه إلى الإسلام حكيم يعني في جميع أفعاله قوله تعالى أم حسبتم أن تتركوا هذا من الاستفهام
المعترض في وسط الكلام ولذلك أدخلوا فيه أم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ والمعنى أظننتم أيها
المؤمنون أن تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
يعني بالعلم المعلوم لأن وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده قال الإمام فخر الدين
الرازي ونقل الواحدي عن الزجاج أي العلم الذي يجازي عليه لأنه إنما يجازي على ما عملوا ولم يتخذوا من دون الله ولا
رسوله ولا المؤمنين وليجة قال الفراء الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم فيفشون إليهم أسرارهم وقال قتادة
وليجة يعني خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء أولياء يعني لا يتخذوا المشركين أولياء من دون الله ورسوله
والمؤمنين وقال أبو عبيدة كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة
الرجل من يختصه بدخيلة أمره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذه الإنسان معتمداً عليه وليس
من قولهم فلان وليجة في القوم إذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهي المؤمنين عن موالاة المشركين وأن يفشوا
إليهم أسرارهم والله خبير بما تعملون يعني موالاة المشركين وإخلاص العمل لله وحده قوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)